

لحظة كتابة.. دم... ع

يوسف أبو لوز*

جلبها لنا رعاة الموت في كيس مدموغ بشعار
السلام والديمقراطية الكاذبة، لتضع بيضها في
الفرات وفي البحر الأبيض المتوسط وفي كل ماء
ورمل تدرج عليه أصابع الأطفال في بلاد تحب
الحياة. ولأنها كذلك، يكرهها سماسرة السلاح
وصنّاع الكارثة.

الحرب "رجل" أصم، أبكم، أعمى، مسقط رأسه
الليل، وقبره الليل. رجل على رأسه قبعة مدورة،
وفي يده مسدس. يطلق النار ويضحك وهو يرى
الدم ينز من رقبة ضحيته. ينظف فوهة المسدس،
يتنّاب، ثم ينام.

الحرب أيضاً بربطة عنق حمراء وفم مائل. رجل
يتحدث الانجليزية بمصطلحات "مفيدة" جداً.
أمامه عشرات الكاميرات التلفزيونية، ومع ذلك

(١)

أخاف على الورد من طيش بائعة الورد،
ترسله ميتاً في سلال من الدمع
صوب أقاصي الحياة.

أخاف على الشمس من جنرال الظلام،
يكبلها بيدين هما ضد هذي الحياة.

أخاف على وطني.. آه يا وطني!

لتعش عالياً مثل اسم الحياة.

أخاف على أبتني.. آه يا أبتني! أنت تاج الحياة.

(٢)

الحرب عقرب أصفر عاش في عقر دارنا. ودارنا
هذه الشرق العربي الحزين. الحرب أفعى رقطاء

* كاتب وشاعر من الأردن.

(٣)

لا تبك يا أبتى!
أعزني دمعك لتسقط على وجهي كالوشم
تبت يدا من أبك
تبت يد الطاغوت
تبت يد الجنرال الذي يفك قلبه بسرعة،
وبسرعة أيضاً يركب القنبلة واللغم
ليقتلني ويقتلك.
لا تبك يا أبتى!
أعطني يدك لنخرج من هذا الجحيم
تعال، أحملك على ظهري
وأركض بك، أركض، أركض
حتى أسقط من العطش.
لا تبك يا أبتى!
الذل لمن أبكك.

يكذب ويصدق كذبه. وبالتكرار، يحول الأكاذيب
الى حقائق.
الحرب رجل متمدن، يأكل لحم الشعوب الفقيرة
بالشوكة والسكين، ينام في بيض أبيض من شدة
سواد قلبه الصغير الذي لا ينمو بدورة دموية
أدمية.
الحرب... مادة للمخرج السينمائي الذي يعتز
ببدنه الشمعي، يستثمر الدم والدموع ويبيعها في
السوق السوداء.
الحرب... دولار خارج للتومن علبة البنك.
ورقة صقيلة ذات حواف حادة كقنبلة بذبح رقبة
عصفور.
الحرب... طفرة لغوية وثقافة يشغل عليها عقل
نفعي انتهازي لا يهتمه إذا ازداد عدد الأطفال
المصابين بفقر الدم في العالم، أو إذا كثرت الأرامل
وتضاعف فيضُ البكاء.